الثورة الاثنين 28 محرم 1432هـ الموافق 3 يناير 2011م العدد (16854)

رحيل رجل لم يقل أنا قط

علي أحمد العمراني

بعد وفاة الشاب أمجد محمد ضيف الله في أبريل من العام المنصر، نظمت أبياتاً من الشعر الشعبي مواساة لوالده الفقيد محمد ضيف الله رحمهما الله، واجتهدت ما بوسع وإمكان «شاعر» غير محترف ولا يدعي الإجادة!..

كان مستهلها «قلبي معك يا ابن ضيف الله يا خير لصحاب والقادة».. ومما ورد فيها أيضاً «وأمجد رعه في رحاب الله وكلنا ليه وفادة.. والموت نقاد يتخير وذمة الله سدادة»، وعلق بهدوئه الساحر ورصانته التلقائية «هذه الأبيات من قلبك يا علي».. «سأبروزها وأضعها أمام ناظري..!».. وبدا أن البيت الأخير استوقفه بعض الشيء فقال وقد ظهرت في صوته غصة ألم ونبرة حزن وعبرة أب مكلوم: «من غير الله.. ومن غير الله ذمة الله تسدد وتعوض!؟».

كنا نعلم مدى حبه وشغفه بابنه أمجد ذي الشعبية الكاسحة بين أقرانه وزملائه.. وخشينا على ابن ضيف الله الموت كمدا وفجأة، وهو صاحب القلب الرحيم والكبير والعليل أيضاً، ومجرد ما علمت بالحادث الذي تعرض له أمجد وبصعوبة حالته، اعتراني خوف على أمجد ورهبة من مجرد النظر إلى وجه أبيه، رأيت ابن ضيف الله في المستشفى مع عدد من أصدقائه ومعارفه الكثيرين وقد اعترى وجهه شحوب ملحوظ وكان يتحرك بقلق لكنه ظل متماسكاً ومتزناً ووقوراً كعادته.

بعد حوالي أسبوع من الحادث توفي أمجد وعزيت والده.. فقال: «الحمد لله أعزه الله».

لم يمهله الموت كثيراً بعد أمجد، ولا بد أنه حمل أحزانه العميقة وهموم بلده الكثيرة معه إلى قبره، في لقاء لبعض أهل البيضاء منذ شهور بخصوص رأب صدع في قضية تخص قيادة المحافظة، ظل يؤكد على ضرورة الوئام، وأبدى قلقاً بالغاً على أوضاع البلاد، قائلاً: لم أشعر بخوف مماثل حتى أيام حصار السبعين وصنعاء تتعرض للقصف من جهات عدة.

قال لي ذات مرة، بعد أن ترك الوزارة، أن رئيس الجمهورية، الذي تربطه بابن ضيف الله علاقة قديمة، سأله معاتباً لم لا تتصل؟ فرد على الرئيس قائلاً: أخشى أن أجد من يتعذر عن الرد أو يسوف أكثر من اللازم!.

عندما تخرج ابنه أحمد من أمريكا عرض عليه أحد أصدقائه قائد أحد أجهزة المخابرات بأن يعمل أحمد معه، لكن بن ضيف الله أعتذر قائلا: لا أريد أن يكون أبني كاتب تقارير ضد أي أحد!.

قال عنه الأستاذ عبدالرحمن بجاش في عموده اليومي في صحيفة «الثورة» إنه رحل بصمت وهو الذي لم يقل في حياته أنا قط، وذكر العديد من مآثر الفقيد وأشار إلى أعلام آخرين من أبناء الوطن المجيد الأحرار قضوا نحبهم وما بدلوا أو حولوا، وشكرت الأستاذ بجاش ورجوت الكاتب الوفي أن يبقى حالماً مثلنا بالوطن والزمن واليمن الذي حلم به ومات من أجله أولئك الوطنيون الطيبون الأخيار!.

رحم الله ابن ضيف الله وتغمده بواسع رحمته.. وبالتأكيد لن تخلو اليمن من أبنائها الأوفياء الأحرار الأخيار على مر الزمن.

الديمقراطية والنخب السياسية العربية..

طه العامري

على امتداد الخارطة القومية للأمة العربية ليس هناك صوت يرتفع على صوت (الحرية والديمقراطية والتعددية السياسية)، فقضية الديمقراطية وتبعاتها غدت هي قضية محورية والشغل الشاغل الذي يستوطن وجدان وذاكرة واهتمام المواطن العربي الذي يقف أمام تداعيات النخب السياسية العربية بكل مشاربها بكثير من الذهول والدهشة والتوجس

خيفة مما قد تسفر عليه هذه التداعيات على ضوء الكثير من المعطيات والمشاهد المؤلة والتي كانت بمثابة (الحصاد) الذي جنيته الأمة على الصعيدين القطري والقومي كنتاج حتمي لمنظومة المتغيرات الحضارية التي برزت على خلفية تفشي قيم وثقافة الديمقراطية وهي قيم تعددت وتنوعت طرق الأخذ بها وكذا الأهداف التي تقف وراء كل تجربة ديمقراطية ووراء كل خيار تبناه هذا القطر العربي أو ذاك.

بداية وقبل الخوض في تفاصيل هذه القضية التي يمكن وصفها وبحق قضية الراهن العربي قطرياً وقومياً علينا التوقف أولاً أمام أسباب ودوافع هذا النزوع العربي نحو (الديمقراطية الليبرالية وقيمها) ونحدد نوع ومستوى هذا النزوع وما أن كان هذا النزوع (نخبوياً) يعكس رغبات وتطلعات النخب السياسية العربية.؟ أو كان هذا النزوع (جماهيرياً) يعبر عن إرادة الجماهير العربية التي بلغت من الوعي مرحلة غدت من خلالها تدرك وبكثير من الثقة أن تقدمها وتطورها وتنميتها وبلوغها مرحلة التقدم الحضاري، أهداف مرهون تحقيقها بتحقيق الديمقراطية وبالديمقراطية وحدها يمكن للجماهير العربية الوصول إلى أهدافها الحضارية..

أقول أن من المهم تحديد مصدر الرغبة المتعطشة للديمقراطية وما إن كانت رغبة (نخبوية) أو رغبة (جماهيرية) لأنه ومن خلال هذا التحديد يمكننا استشراف النتائج ومعرفة الدوافع التي تقف وراء هذا النزوع المثير للديمقراطية التي غدت قضية الساعة ومحل تجاذب الفعاليات التي تخوض في جدل مثير وغير مسبوق حول طرق وآليات الديمقراطية وكيفية التعامل مع قيمها، وهو الجد الذي كان يمكن القبول به لو أنه اندرج في سياق تطوير الفكرة أو يعمل في نطاق تنقيتها ومن ثم تطويعها لتكون بكل ما تحمل من القيم مناسبة للواقع العربي قطرياً وقومياً وتتجانس مع موروثات ثقافية وسياسية وفكرية واجتماعية مكتسبة بما في ذلك تعزيز النسيج المجتمعي داخل المجتمع العربي قطرياً وقومياً، لكن المؤسف أن كل هذا الجدل لم يأت بما يطور وينقي الفكرة، بقدر ما أتي بما يزيد من تعقيداتها ويصعب قيم العيش المشترك في الوسط المجتمعي، بصورة تبدو فيها النخب العربية في طريقة تعاملها مع الديمقراطية وكأن هذه النخب تحاول أن تثأر بالديمقراطية على خلفية فشلها التاريخي في تقديم رؤى وحلول تعالج قضايا الواقع قبل أن تصبح (الديمقراطية) موضة أو وسيلة راحت هذه النخب تستل تحت رايتها وكأن هذه الديمقراطية لم تأت فجأة بل هي صناعة هذه النخب العربية أو حلمها الأزلي مع أن هذه النخب لم تكن حتى وقت قريب تعرف أو تدرك معنى الفكرة ولا تؤمن بقيمها..!!

بل لا تزل القيم والمفاهيم (الشمولية) راسخة ومستوطنة في وجدان وذاكرة هذه النخب حتى اللحظة رغم الضجيج الإعلامي الذي تمارسه هذه النخب حول وعن الديمقراطية وقيمها وتلك مواقف جدلية تماسها هذه النخب وتوظفها ضد الأنظمة الحاكمة دون أن تكلف نفسها أي النخب العربية مهمة تبني قيم وثقافة الديمقراطية وتجسدها داخل مكوناتها الحزبية ومسمياتها التنظيمية حيث الثقافة الشمولية لا تزال سائدة وراسخة بل لا تزال ثقافة (الإقطاع السياسي) تهيمن على قيادة العمل الحزبي العربي بكل مدارسه السياسية ومشاربه الفكرية وقناعته الإيديولوجية..

بيد أن مشكلة وعقدت الفعاليات الحزبية العربية هي أنها تعيش في حالة (رهان) على الآخر (الخارجي) ولا تراهن على جماهيرها في الداخل ولهذا لا نجد أن هناك ثمة رؤى قدمتها الفعاليات النخبوية العربية تعالج من خلالها هموم وقضايا واقعها المجتمعي وإن كانت هناك بعض المبادرات الفردية والاجتهادية لبعض المثقفين العرب فإن تلك المبادرات تمت هي الأخرى على خلفية التقليد والتماهي مع الآخر الحضاري وجاءت ملبية لطموحات ورغبات بعض الأطراف في الداخل أو في الخارج لكنها بالمجمل لم تأت تعبيراً عن حاجة مجتمعية عربية ولا تجسيداً لرغبات وتطلعات الجماهير العربية في هذا القطر العربي أو ذاك..!!

لقد فقدت الفعاليات النخبوية العربية الكثير من رصيدها الجماهيري حين اتخذت من (الديمقراطية) وقيمها وسيلة لتصفية حساباتها مع الأنظمة الحاكمة في مرحلة بدت فيها هذه الأنظمة تحت دائرة الرصد المحوري بما يعني هذا الرصد من نوايا استهداف ورغبة محورية في تصفية الشخصية (الكارزمية) العربية برمزيتها وبما تحمل من مدلولات سياسية وثقافية واجتماعية نظراً لما تحمله الشخصية الكارزمية من معان اجتماعية تعمل على تماسك وترابط البنيةً المجتمعية العربية التي تعمل الديمقراطية بصورتها الراهنة على تمزيق هذه البنية ومن ثم خلق قيم ومفاهيم تضادية في الوسط المجتمعي العربي من خلال إثارة المفاهيم العرقية والطائفية والمذهبية والقبلية وإيجاد مربعات تصادمية في كل واقع عربي فيه تتصادم مفاهيم ورؤى بعيداً عن المصلحة الكلية للمجتمع بكل مكوناته وهذا الفعل المنهج جاء كحصيلة لغياب الدور النخبوي العربي ولانشغال الفعاليات العربية المعارضة في حالة ثأر سياسي مفتوح مع الأنظمة بمعزل عن دور هذه الفعاليات جماهيرياً، إذ أسقطت الفعاليات العربي دورها الجماهيري لتحل محله علاقتها الخارجية مع ما يطلق عليها ـــمنظمات المجتمع المدنيـــ فيما هناك نخب عربية تعاملت وبشفافية مع محاور خارجية منها استمدت وتستمد شرعيتها في مناهضة هذا النظام الحاكم أو ذاك وهذا السلوك خلق حالة انغلاق بين الجماهير العربية ونخبها وبالتالي بدت عندها الأنظمة الحاكمة بكل ما فيها من عيوب وشوائب أقرب للجماهير من النخب المعارضة في غالبيتها والتي استوطنت (الفضائيات) لتسويق أفكارها النظرية وحسب دون أن يكون لها حضور في الشارع العربي الذي يعيش تحت قسوة الظروف الحياتية والمعيشية ومع ذلك يتقبل هذه الحياة بكل قسوتها ويرفض كل أشكال النعيم الزائف إن كان قادماً على حساب السيادة والهوية الوطنية والانتماء.. خاصة وهناك دلائل ومشاهد كافية لكي تجعل المواطن العربي يرفض القيم التي يسوقها البعض كما يرفض ديمقراطية النخب المجردة من قيم ومفاهيم إنسانية وأهداف تنموية واجتماعية تعمل على تلمس هموم وقضايا العامة من الناس وتعزز علاقتهم المجتمعية وترابطهم الوطني بعيداً عن ثقافة (التقاسم) وحق (تقرير المصير) أو التجزئة على أسس ومفاهيم (عرقية) ومذهبية وسياسية وقبلية ودينية.. للموضوع صلة.

مشاهد يومية

عبدالرحمن بجّاش

المستقبل ... بين المحبّبين والمُديّزين!!!

لا بأس أن نعيد المشهد القصير، فقد كنت ذات مساء أتابع عملي، ليأتي شاب زائر من خارج الصحيفة جلس أمامي، كيس قاته بيده لأندمج أنا في ما كنت مهموماً به، وليظل هو يتكلم ويتكلم، وأنا لا أسمع لا أسمع.

خرج من مكتبي بعد الغروب بدون أن أنتبه جيداً، عاد اليوم التالي، فبادرته بعد أن لاحظت صمته المريب : ما لك يا «...» ساكت، وكأن على رأسك الطير؟ قال بصوت يكاد يكون غير مسموع : بالأمس لم تعرني انتباهك، وكنت في قمة الانتشاء، قلت : لقد كنت مشغولاً بما رأيته أمامي، لكن أين نشاط وحيوية أمس؟ فاجأني بالقول – وأنا استقبلت ما قاله بالابتسام – : بالأمس يا أستاذ كنت أراك سَاع هذا، وأشار إلى رأس سبّابته!! قلت ضاحكاً : كيف صغير هكذا؟ قال : كنت طفراناً اشتريت أردأ أنواع القات، لكن الله يخلّي «الديازبام»، قلت يومها : ما هو الديازبام؟ قال : حبوب يتعاطها سائقو الخطوط الطويلة، ففهمت، ومن يومها والحياة تمضي سراعاً، والديازبام كل يوم يحتل مساحة جديدة في رؤوس كثير من الشباب.

وفي مدينة أخرى وقد حضرت عرساً لصديق لاحظت شباباً يرقصون بطريقة مستفزة، فسألت جاري : وهؤلاء لماذا يضحكون بهذه الطريقة ويرقصون هكذا، قال : هؤلاء «المحبّبين»!! أي أولئك الذين يستخدمون الديازبام، وأنواع أخرى تستخدم في مدن أخرى واسمها كباتاجون!! السؤال الاعتراضي هنا : من أين يأتي كل هذا؟

الآن، وبدون أن نلف وندور حول الحمى، نقول إن الديازبام والكباتاجون وصولاً إلى شم طلاء الأظافر و«بوية» الأحذية، يتزحلق شباب كثيرون، وبسبب الفراغ والبطالة، وفي مدن ساحلية تحديداً يقال إن أنواع الحبوب المخدّرة تباع عند الإشارات، أو يقوم ببيعها بعض – حتى لا نعمّم – سائقي الدرّاجات النارية، والأهم أنها تباع بأسعار رخيصة جداً، وهو أمر يبدو مقصوداً، فلماذا ندفن رؤوسنا في الرمل وكثير من شبابنا أصبحوا موزعين بين «المحبّبين والمديّزين»، حيث يشار إلى ذلك بالمحبّب وهذا بالمديّز!!

وقد أصبح كثيرون لا يكتفون بحبّة واحدة مع القات الرديء، بل إن بعضهم يستخدم الأربع والخمس، حيث مع الإدمان لا يعد للحبة تأثير، ماذا نحن فاعلون؟ وَمَنْ سيناقش الأسباب؟ وَمَنْ عليه أن يقوم بتوعية الشباب بمضار هذه الحبوب، التي ما خفي منها أعظم!!

والسؤال الأهم : من أين تأتي؟ وكيف تدخل؟ وَمَنْ يدخلها؟ وهل تعلم كل الجهات المناط بها الحفاظ على الحياة العامة بما يحدث في الشارع؟ وعلى المستوى العام يوجّه السؤال إلى مَنْ هم مشغولون بالشأن السياسي : هل تعلمون بانتشار الحبوب في الإشارات وعلى الدرّاجات النارية؟ وما خفي أعظم، هل تعيرون جزءاً من اهتمامكم لأمور كهذه؟ استفحالها سيدمّر شبابنا، ويقضي عليهم، ومعنى القضاء عليهم قتل المستقبل الذي عنوانه ومدخله الشباب.

وهل تعلمون يا منظمات المجتمع المدني أن كثيراً من الجرائم الفظيعة التي تركب الأب ترتكب تحت وطأة المخدّر؟ هل نزل عضو من أعضاء مجلس النوّاب أو أي منظمة مجتمع مدني إلى إدارات المباحث وإلى الشارع واطّلع وسمع ما يُهمس به حول هذا؟ أم أن الجميع مشغولون بما لا يشغل الإنسان العادي به نفسه؟ حيث لا أحد من الشباب يدري عن السياسة شيئاً، فهو مهموم، ولا مانع من جزئية صغيرة مفادها أن مدرساً سأل شاباً جامعياً : مَنْ هو صلاح الدين الأيّوبي؟ أجاب : مغنّي راب جزائري!! ماذا يعني هذا؟

الآن، الآن تحت الرماد نار، تحت المخدّة ديازبام، أو كباتاجون، ماذا نحن فاعلون؟ أو سيمر هذا كما يمر غيره مرور الكرام.

المستقبل إن لم نلحقه فلن نجده، والنار من مستصغر الشرر ... ألا هل بلّغت، اللهمّ فاشهد.

قائد عبدالله نعمان المفلحي

○ ○ ○ ○

□ خسرنا بوفاة هذا الرّجُل النبيل خسارة كبيرة، وأمثال قائد كثيرون، في منازلهم لا يكاد أحد يسأل عنهم أو يحس بحركتهم، ولأنهم كرماء فقد ظلوا كذلك، وماتوا كرماء.

إلى كل مَنْ يحبّ قائد المفلحي، فعزاؤه، الذي تكرّم مَنْ لا تزال الشهامة عنوانهم وسيقومون به، فسيكون يوم الأربعاء بقاعة «تعز»، فج عطان.

شكراً لمَنْ قدّم كل شيء تبرعاً، أما أصحاب الشأن فنائمون، فقد نسوا الرّجُل من زمان!!

فاكس : (679179) bajash 22 @ gmail.com

إعلان